دراسة منهج تحليل البيانات اللغوية في تفسيري جامع البيان والتبيان

الدكتورة نانسي ساكي
عضو الهيئة التعليمية بجامعة شهيد چمران اهواز- ايران- اهواز (الكاتب المسئول)
Tooba1363@yahoo.com
الدكتورة معصومة تنگستاني
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد چمران اهواز- ايران - اهواز

A Comparative Survey of the Methodology Explaining Quran Vocabularies in Interpretation of Jamealbayan and Tebyan

Dr. Nancy Saki
Assistant Professor of Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz,Iran (responsible author)
Masoomeh Tangestani
PHD Arabic Language and Literature of Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, iran

الملخص:

من طرق الحصول على التفسير الصحيح لآيات القرآن، معرفة الدقيق والصحيح لمفرداته.

من هذا المنطلق العناية بالمباحث اللغوية وشرح المفردات لها أهمية جديرة بالذكر. و من المفسرين الذين ولّوا عنايتهم لهذا الأمر الطبري والطوسي صاحبي تفسير((جامع البيان)) و((التبيان)). في هذا المقال نحاول أن ندرس منهج دراسة هذين المفسرين في دراسة المفردات القرآنية وموازنتهما، حيث يكون التحليل من خلال دراسة البيانات اللغوية من زوايا مختلفة كـ: ذكر المفرد و الجمع، اشتقاق الكلمة، بيان الفروق اللغوية، تبيين الوجوه المعنائية للمفردة، مصاديق المفردة، شرح المفردات الغامضة، تقارب المعنى في المفردات، شرح المفردات غير العربية الواردة في القرآن واسنادها للشعر والآيات والأحاديث.

من خلال هذه الدراسة و المقارنة نستطيع القول بأنّ هذين التفسيرين في دراستهما للمفردات إتخذا اسلوباً واحداً على الرغم من أنّ الشيخ الطوسي قد إتخذ في دراسته للمفردات القرآنية و شرحها منهجاً متناسقاً و هادفاً بالنسبة لطبري.

الكلمات المفتاحية:- القرآن الكريم - التفسير- جامع البيان - التبيان - الطبري - الطوسي - دراسة لغوية.

Abstract:-

One of the ways of accurate interpretation of Quran verses is that the meaning of its vocabularies to be understood accurately. Thus, it is very important to consider the meanings of words and explanation of singularities in Quran interpretation. Amongst the interpreters who have valuably expounded the Jamealbayan and Tebyan, we can denote to Tabari and Sheikh Tousi.

The purpose of this research is to compare and discuss the performance and methodology of these two interpreters in the interpretation of Quran vocabularies. In this study, the author analyzes the interpretations of interest in expression of the words from different aspects such as singular and plural, derivatives, description of word dissimilarities and modes of meaning, expression of denotation, description of vague, relation between words, expression of non-Arabic words in Quran and use of poetry, verse and Hadith in word explanation. What is obtained from the comparison is that both of interpretations in the quality of looking at the vocabularies have almost an identical style. However, the Sheikh Tousi examined the Quran vocabularies as more coherently and purposefully.

Keywords:- Holy Quran, interpretation, Jamealbayan, Tibian, Tabari, Tusi, a linguistic study.

التمهيد:

القرآن الكريم كتاب سماوي ذو بنية مستحكمة وخالدة في مجالات متعددة كـ: المعتقدات، العبادة، الأخلاق، الثقافة ومجالات متعددة أخرى في حياة البشري، حيث أنزله الله لهداية البشر وسعادته على يد رسول امين ومعلم موحى عليه قدمه للبشرية وأوصى الجميع التدبّر فيه ودراسته.

منذ بدايات ظهور الإسلام قام الكثير من المفكرين بدراسة آيات القرآن وجعلوها محور بحثهم، و أغنوا أنفسهم من لآلئ هذا البحر الشاسع حتى نستطيع القول إننا لا نجد كتاباً كالقرآن قد عني به من حيث التحليل والدراسة، وكلما مرّ عليه نجد فروعاً ومناح جديدة قد أضيفت إليه، ودراسة مفردات ((القرآن الكريم)) إحدى هذه الفروع.

بما أنّ لعلم مفردات اللغة في فهم الآيات القرآنية دور هام يعدّ هذا العلم من ضروريات فهم القرآن الكريم لاسيما قد نجد في بعض هذه المفردات وجوه مختلفة و عميقة حيث لا يمكن الوصول إليها الّا من خلال هذا العلم؛ ومن هذا المنطلق منذ بدايات القرون الأولي قد كتب علماء كثيرون في المفردات القرآنية؛ مثل كتاب((غريب القرآن)) لزيد بن علي، وكتاب ((تفسير غريب القرآن)) للسجستاني، وكتاب ((المفردات)) لراغب الإصفهاني. وقد نجد الكثير من المفسرين يبدؤوا تفسير الآيات بشرح المفردات أولاً. قد قام الطبري بمباحث لغوية كأمفسر سنّي، و تفسيره كأول تفسير للقرآن و الشيخ الطوسي كأول مفسر شيعي بهذا النوع من الدراسات في التفسير.

في هذه الدراسة نحاول مقارنة المشتركات والإختلافات اللغوية بين هذين المفسرين العملاقين من خلال الإتيان بشواهد لغوية لهما لأهم الموضوعات التي عرضت في تفسيرهما.

الطبري وتفسيره:

هو أبو جعفر بن محمد جرير الطبري المحدث والفقيه والمفسر والمؤرخ الذي وُلد بدايات سنة ٢٢٥ ق في مدينة آمل التي كانت تعد من توابع طبرستان، في اوان شبابه تعلّم عند علماء العراق و الشام و مصر العلوم المختلفة، ثم استقرّ في بغداد حتى وفاته. يعدّ الطبري عالماً فاضلاً، خبيراً في التاريخ و آثار السلف، ومنتقداً دقيقاً ذا مقدرةٍ في تحليل أقوال و آراء

الآخرين، لهذا كان يعدّ اضافة إلى تفسيره أباً لعلم التاريخ (شيخ للمؤرخين)، و هذ الأمر قد جعل من تفسيره تفسيراً جامعاً موسعاً. (معرفت ١٣٨٥ ش: ١٦٢/٢) كان الطبري من أهل السنة و قد توفي سنة ٣١٠ ق عن عمر يناهز ٨٦ في بغداد.

كتاب تفسير ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن))، يعد اول كتاب متكامل يحتوي على تفسير ترتيبي و أحد أهم آثار الطبري.

قد اختلف آراء العلماء في هذا التفسير؛ منهم ابو حامد الإسفراييني القائل: ((لو تحمّل أحد عبء سفر الصين للحصول على تفسير الطبري لما فعل الكثير.)) (الخطيب البغدادي، بلاتا؛ ١٦٣/٢)

قد تكون بعض هذه الآراء مع شيءٍ من التحيز و الإفراط، لاريب أنّ تفسير الطبري تفسير مفعم بالمعلومات و هو كما سمي (أم التفاسير)، ولكن بما أنّ هذا التفسير تفسير نقلي و قد وجدت فيه روايات اسرائيلية و البعد الروائي لهذا التفسير هو المسيطر على كل كتاب، حتى لا نستطيع عدم التفات إلى الأساطير والقصص القديمة، والاسرائيليات لكثرتها فيه، بل نستطيع القول إنّ أحد أهم الاشكالات الواردة على تفسير الطبري هو اشتماله على الروايات الاسرائيلية والنصرانية والمجوسية التي نقلت في قصص الانبياء والاحداث التاريخية وخلقة الكون والملاحم. (شاكري، ١٣٨٢: ٨٢)

من أهم خصائص هذا التفسير أن نجد لكل آية أحاديث لصحابة و التابعين ثم نقد ورجحانه لأحد الأقوال. ولكن في معرفته للحديث نستطيع القول إنّ نظرة الطبري، نظرة تابعة لأهل الرواية و لا أهل الدراية، و قد يبدي برأية من منطلق تعصبه لمذهبه. كان للطبري يد طولي في وجوه قراءة القرآن، يوجد الكثير من الاسرائيليات و النصرانيات في تفسيره. لم يهتم في تفسيره بالجزئيات.

يكتفي بالمعاني الظاهرية للمفردة. يستند بشعر قديم العرب. قد يعالج في تفسيره بالنقاط النحوية واللسانية والإعرابية. وقد نجده يتطرق إلى المسائل الكلامية والعقائدية ويفصل في بيان الأحكام الفقية. (نقلاً عن: فتح اللهي و ذوالفقاري، ١٣٨٥: ٢٣٩-٢٤٠).

ترتيب تفسير جامع البيان يتكون من مقدمة شاملة حول الأمور المرتبطة بالقرآن ثم

بتنسيق دقيق يستمرُّ في تفسير السور حتى النهاية. يختار الطبري آية أو بعض الآيات من القرآن تحت عنوان (القول في تأويل قوله تعالى)، ومن ثمّ يقوم بتفسيرها وبين رأيه في تبيين الآيات، ثم يبدأ بدراسة المفاهيم ومدلولات الآية و يتطرق من خلالها إلى المباحث اللغوية والنحوية والقراءات وشأن نزول الآيات و المسائل الفقهية مستشهداً في بعضها عند الحاجة بشواهد شعرية من الشعر الجاهلي والاسلامي، ثمَّ يأتي بأقوال الصحابة والتابعين وإن كانت هذه الأخبار والروايات مختلفة ومتنوعة من حيث القوة و الثقة في ذكر سلسلة السند، ثمّ في خلال هذه التفاسير إن وجد اختلاف رأي يحاول تبيين الرأي المرجح من خلال إتيانه بالدلائل والأقوال سلباً أو إيجاباً، وإن كانت الآراء موافقة لآراء واقواله لم يبد برأي فيه.

٣ـ الطوسي و تفسيره:

هو الشيخ ابوجعفر بن محمد بن حسن بن على الطوسي، الملقب بـ((شيخ الطائفة وشيخ الإمامية))، وُلد في رمضان سنة ٣٨٥ ق في منطقة طوس.

يعرف الشيخ الطوسي بين علماء الشيعه بكثرة مؤلفاته التي تقارب الخمسين في مجالات مختلفة مثل الفقه، الأصول، التفسير، الكلام، الأدعية، علم الرجال و التاريخ. ألّف في التفسير كتابه القيم ((التبيان)) الذي يجمع بين دفتية جميع علوم القرآن، حيث أورد في كتاب الفهرست أنّ له كتاب لامثيل له في تفسير القرآن.)) (الطوسي، ١٣٥١ش، ٢٨٨)، توفي الشيخ ٢٢ من محرم سنة ٤٦٠ ق في النجف الأشرف.

كتاب تفسير التبيان من مؤلفات القرن الخامس للهجري، و أحد أهم و أكمل و أدق تفاسير القرآن، و هو أول كتابٍ تفسير شيعي كتبه الشيخ الطوسي باللغة العربية. على الرغم من وضع هذا التفسير في زمرة الكتب التفسيرية الكلامية و البلاغية، فهو في الحقيقة كتاب تفسير جامع وشامل ذو ابعاد يحتوي على علم اللغة والأدب والقراءات والنحو والتفسير والتأويل والفقه والكلام و.....

لم يترك الشيخ الطوسي موضوعاً يرتبط بالتفسير في كتابه هذا الاّ و أورد بحثاً و تحليلاً فيه. من خلال إرجاعات الشيخ في تفسيره هذا إلى كتبه الفيهية والأصولية والكلامية يتضح لنا أنه ألّف تفسيره هذا بعد سائر كتبه ولهذا نجد التفسير ذا سعة وغني اكثر بالنسبة لسائر مؤلفاته، وفي الحقيقة قد سبق هذا التفسير جميع التفاسير المشهورة في عصره، لأنّ تفاسير

ذلك العصر كانت مختصرة و تدرس بُعداً خاصاً من ابعاد التفسير، بينما هذا التفسير الجامع كان يحتوي على أقوال و آراء المفسرين السابقين للشيخ. (معرفت، ١٣٥٨ش: ٢٤٧/٢)

من ميزات هذا التفسير أنّ الشيخ الطوسي كان يدرس المسائل الكلامية بطريقة أدبية، ولم يدع آية تختص بالمسائل العقائدية الا وأشبع فيها بالدراسة و التحليل الموسّع المفصّل.

أورد الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره حول سبب تأليف هذا الكتاب قائلاً: ((إني لم أر في أي كتاب في كتب تفاسير علماء الشيعة بأنّهم قد اهتموا بتفسير كامل آيات القرآن أو بتفسير يشتمل على العلوم المتنوعة والمعاني الا القليل منهم قد اكتفوا بذكر الروايات الموجودة في كتب الحديث دون أي استقساء أو شرح المبهمات فيه. (الطوسي، بلاتا: ١٩/١)

هذا الكتاب هو مكوّن من عشرة مجلدات بداية بسورة الحمد و نهاية بسورة النّاس، يبتدأ المفسر كل سورة بذكر اسمها و سبب تسميتها ثم يذكر بأنّها مكية أو مدنية. و إن وُجِدَ في السورة ناسخ أو المنسوخ أو نقطة هامة تحتاج إلى الشرح يمعن في شرحها. يورد الشيخ الطوسي بعد الإيتان بالآية بشرح المفردات الصعبة ثمّ يذكر قراءاتها حتى يصل إلى آراء وأقوال الآخرين فيها، وفي النهاية يذكر المقصود بالآية موجزاً. أورد الشيخ في تفسيره شأن نزول الآيات والمسائل الفقهية والعقائدية المختلفة فيها. حاول الطوسي في تفسيره تثبيت آراءه من خلال الإتيان بآراء المفسرين من الشيعة والسنة وذكر شواهد من كلام المعصومين. وقد نجد عند الحاجة شواهد شعرية من الشعر الجاهلي والإسلامي. (انظر: اكبرآبادي، ١٣٥٠ش: ٣٧١/٢ -٣٧٨)

قد أورد الشيخ في تفسيره الآراء المشهورة اللغوية و التفسيرية السابقة و كان دائماً يذكر الآراء الادبية والكلامية، وفي بعض الأحيان الآراء الفقيهة والأصولية في تفسيره. كان دائماً يورد آراء علماء اللغة والنحو أمثال سيبويه والخليل والكسائي والثعلب والفرّاء وآخرين (لمعرفة اسماء الآخرين، انظر: آل ياسين، ١٣٤٩ش: ٣٠٣/١)، و في النهاية كان يذكر رأيه المختار من بين هؤلاء.

٤ـ دراسة منهج تفسيري جامع البيان و التبيان في شرح المفردات:

يشرح الطبري و الطوسي في تفسيرها بعد الإتيان بالآيات، المفردات التي تحتاج لتبيين بالتفصيل؛ كدراسة المفرد و الجمع، اشتقاق المفردة، شرح الفروق اللغوية، شرح وجوه

المعاني اللغوية، مجازات المفردة، مصاديقها، شرح المبهمات و تقارب المعاني للمفردة و ذكر الكلمات المعجمة التي وردت في الآيات من خلال الإتيان بالشواهد الشعرية و القرآنية الواردة في الأحاديث. من هذا المنطق نأتي بنماذج من هذين التفسيرين حسب ما ذكرناه.

٤-١- المفرد والجمع للكلمة

تفسير جامع البيان:

يورد الطبري غالباً المفرد للكلمة و يكتفي بهذا الأمر، و احياناً يذكر المفرد للكلمات، ذكرت على سياق منتهي الجموع و يدرس المفردات التي تكون جمعاً و مفرداً في آنٍ واحد. و قد نراه في ذكر مفرد كلمة يستشهد بالشعر دون القرآن و الحديث الاّ نادراً، و احياناً يذكر اختلاف آراء اللغويين في مفرد أو جمع كلمة دون أن يبدي برأيه.

مثلاً يأتي بهذه الآية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ (بقرة/٢٢٨) ذاكراً أنّ كلمة ((بعل)) تجمع على شكل ((بعولة)) و يقول: إنّ تجمع كلمة ((بعل)) على ((بعول))أحياناً، كما تجمع كلمة ((فحل)) على شكل ((فحول)) (طبري، ١٤٢٠ ق: ٦١١/٢)

تفسير التبيان:

يشبه منهج الطوسي كثيراً في هذا المجال منهج الطبري و إن كان الطبري هو السابق على الشيخ الاّ أنّ الشيخ الطوسي يكتفي بذكر المفرد أو الجمع للكلمة فقط.

يأتي الطوسي في تفسير هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً﴾ (النساء/٧١)، أورد في شرح مفردة ((الثبات)): الثبات جمع ثبة وهي....

ومن ثمّ يأتي بشاهدٍ شعري:

وقد أغدو على ثبةٍ كرام نشاوي واجدينَ لما نشاءُ

ثمّ يأتي في شرحها قائلاً إنّه يجوز جمع ((ثبة)) على شكل ثبوت و يذكر السبب في ذلك.)) (الطوسي، بلاتا: ٢٥٣/٣)

و قد نجد الإستشهاد بالآيات القرآنية و الأحاديث في شرح المفرد و الجمع اكثر من تفسير الطبري.

٤-٢- اشتقاق المفردات:

الاشتقاق عند علماء اللغة هو أن يشتق لفظ من آخر لمناسبة في المعنى و التركيب و المغايرة في البنية.)) (الجرجاني، ١٩٨٥: ٢٧)، نستطيع القول بأنّ الاشتقاق يبحثُ عن جذور الكلمة و الصلة بين المفردات التي ترتبط في الشكل و المعنى.

انواع الاشتقاق

ـ الاشتقاق الصغير:

هو اكثر استخداماً بين انواع الاشتقاق؛ حيث أن نستخرج كلمة من كلمة أخرى بحيث يكون ترتيب الحروف وشكلها واحداً و تختلف الكلمة من حيث عدد الحروف؛ مثل ((علم)) المشتق منه كلمة عالم واعلم. قد سمي البعض هذا النوع من الاشتقاق، الاشتقاق الصغير.(التهانوي،١٨٦٦م:١/١٧٦)، وقد سماه البعض الإشتقاق العام.(الوافي، ١٣٨٨ق:١٧٢).

ـ الاشتقاق الكبير(القلب)

هو اللون من الاشتقاق الذي يأتي من خلال تغيير ترتيب الحروف في كلمة ثلاثية أو رباعية إلا أنّ المعنى يكون مشتركاً بين الكلمات. كـ: كلم، كمل، مكمل، و ملك (ابن الجني، ١٣٧٤ق: ٢/١٣٤)

ـ الاشتقاق الأكبر

الذي يسمي ايضاً بالإبدال اللغوي، في هذا اللون من الاشتقاق يهتم بمعاني المفردات وترتيب الحروف إلا التغيير في بعض الحروف شريطة أن تكون الحروف قريبة المخرج. مثل ((نعق، نهق)). (كيا، ١٣٤٠ش: ٤)

ـ نحت (أو اشتقاق الكبار)

وهو اللون من الاشتقاق تدمج فيه الكلمتان أو اكثر حيث ينتج من هذا الدمج كلمة جديدة تشمل على معني جميع الكلمات.)) (ابن فارس، ١٣٦٨ق: ٤٦١؛ جورجس، ١٩٦١: ٦٢)

تفسير جامع البيان:

أورد الطبري في شرح مفرده ((حسيباً)) في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء/٨٦)، مفردة حسيب في هذه الآية على وزن فعيل مأخوذة من حساب بمعنى العدّ؛ ((حاسبتُ فلاناً على كذا و كذا))، و ((فلان حاسبة على كذا و هو حسيبه))؛ هنا بمعنى صاحب الحساب. قد ظنّ بعض اللغويين انّ مفردة ((حسيب)) بمعنى ((كافئ)) المأخوذة من ((أحسبني الشيء، يحسبني إحساباً)) و هو خطأ. (الطبري، ١٤٢٠ق: ٩١/٦)، أثار الطبري في تفسير هذه الآية إلى الاشتقاق الصغير.

قد لانجد الإشارة إلى الأنواع الأخرى للإشتقاق في هذين التفسيرين. أورد الطبري في شرح هذه الآية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف/٤٦)، أنّ مفردة ((السيماء)) مأخوذة من ((السمة))، وقد انتقل حرف ((الواو)) من فاء الفعل إلى عين الفعل، كما نقول في ((اضمحل)) ((إنصحلّ)) (الطبري، ١٤٢٠ق: ٢٥٦/٨)، هذا من الاشتقاق الكبير.

تفسير التبيان:

أورد الطوسي في هذه الآية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء/٨٢)، أنّ ((التدبّر)) هو النظر في عواقب الأمور و أصل الكلمة مأخوذة من ((الدبر)) و التدابر بمعنى ((التقاطع))..... ((يدّبرون دباراً)) بمعنى هلكوا.... و ((الدُّبر)) هو الزنبور و المال الكثير و ((التدبير)) اصلاح الأمور في معقبتها، و ورد في الحديث: لاتدابروا أي لاتتخاصموا)) (الطوسي، بلاتا:٢٧١/٣)

و المثال الثاني: أورد في تفسير هذه الآية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا....﴾ (آل عمران/٦١)، أنّ كلمة ((تعالوا)) اصلها من ((العلو)) حيث يقال ((تعاليت، اتعالي، تعالياً)) بمعنى الإتيان، و أصلها الاتيان إلى المكان المرتفع، ولكنها تستخدم بمعنى الإتيان اطلاقاً. (الطوسي،بلاتا: ٣٩٤/٢)

من خلال دراسة هذين التفسيرين في الاشتقاق نجد أنّ الشيخ الطوسي قد اعتني اكثر بالأمر دون الطبري.

٤-٣- بيان الفروق اللغوية

تفسير جامع البيان:

نقصد بالفروق اللغوية تلك المفردات التي تختلف لفظاً و تتفق معناً. فقسّم اللغويون حسب استخدام هذا النوع من المفردات التي تختلف شكلاً و تتفق معناً باباً في اللغة العربية سمّوه الفروق اللغوية.

مثلاً أورد الطبري في شرح هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ (توبة/٦٠)، الفرق بين مفردتي ((المسكين)) و ((الفقير)) قائلاً: ((إنّ الفقير المحتاج الذي على الرغم من فاقته لايقلل من قدر نفسه، بينما المسكين هو المحتاج الذي يحطُّ من قدر نفسه. و هكذا يفرّق بين مفردتي الفقير و المسكين و ذلك لأنّ الله تعالى جعل هؤلاء صنفين و جعل لكلّ منهما صدقةً معللاً بأنهما يستحقا الصدقة لفقرهما لا لذلتهما. و قد اتفق جميع العلماء على أنّ الصدقة تعطي للفقر و ليست لذلّة، و ان كانت مفردة ((المسكنة)) تدلّ على الإذلال. (الطبري، ١٤٢٠ق: ١٠/٢٠٥)

و هكذا نجد أنّ الطبري ميز بين الفقير و المسكين لقبول الذلّة في أحدهما دون الآخر.

تفسير التبيان:

أورد الطوسي كطبري في شرح اختلاف معاني المفردات التي تختلف شكلاً و تتفق معناً؛ مثل هذه الآية: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ (توبة/٢١) وقد أرد تحتها قائلاً: ((الجنة روضة تزرع فيها الأشجار)) بينما ((الرضوان مكانٌ تنبتُ فيه الورود والزهور)). (الطوسي، بلاتا: ٥/١٩٢)

وفي مكان آخر يفرق بين كلمتي ((التدبّر)) و ((التفكر)) قائلاً: ((التدبّر هو التصرف في الأمور مع لحاظ معقبتها)) بينما ((التفكر، التصرف في الأمور مع معرفة أسباب فعلها)) (المصدر نفسه: ٣/١٧١)، بيان هذا الأمر في تفسير التبيان اكثر وضوحاً واستعمالاً من التفسير الجامع.

٤-٤- بيان وجوه المعاني اللغوية

تفسير جامع البيان:

نقصد بالوجوه اللغوية تعدد معاني لمفردة واحدة. قد نجد الطبري يذكر وجوهاً لأصل مفردة ثم يشير إلى المعنى المقصود من المفردة في الآية؛ مثلاً يورد تحت شرح مفردة ((الإستواء)) في هذه الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ معانٍ متعددة منها:

١- نهاية فترة الشباب.

٢- المقاومة.

٣- قصد العمل و فعله.

٤- السيطرة على شيء.

٥- العلو و السمو.

ثمّ يختم قوله هكذا ((بأنّ المقصود بالاستواء هنا العلو)) (الطبري، ١٤٢٠ق: ٢٧٦/١)

تفسير التبيان:

يوردالشيخ الطوسي في تفسيره عدة استخدامات لشرح معاني المفردات؛ مثلاً في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل/٦٨)، يذكر لمفردة ((الوحي)) معانٍ متعددة مستشهداً بالآيات القرآنية:

١- بمعنى الوحي إلى الأنبياء (الشوري/٥١)

٢- بمعنى الإلهام، (القصص/٧)

٣- بمعنى الإشارة، (مريم/١١)

٤- بمعنى الأسرار، (الأنعام/١١٢) (الطوسي، بلاتا: ٤٠٣/٦)

٤-٥- ذكر المجاز في شرح المفردات

تفسير جامع البيان:

إحدى الصناعات الأدبية صناعة المجاز، و قد أشار الطبري في بعض الآيات إلى

استخدام المجاز دون أن يستخدم مصطلح المجاز فيها.

مثلاً في استخدام مفردة ((العجل))، أورد هذه الآية: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة/٩٣)، يقول: إنّ القصد هنا من ((العجل)) هو حبُّ العجل؛ موضحاً بأنَّ عدم استخدام لفظة الحبّ لوضوح الأمز حيث لانستطيع أن نجعل العجل في القلوب بل حبّها الذي يجعل في القلوب، وقد ورد في القرآن الكريم كثيراً من هذا النمط مثل هذه الآية: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف/٨٢)، حيث حذف ((الأهل)) في الآية (الطبري، ١٤٢٠ق: ٥٩٥/١)، و هذا النوع من المجاز يسمي مجازاً لغواً بالحذف أو مجاز مرسل بالعلاقة المحلية.

تفسير التبيان:

جاء الشيخ الطوسي بالمجازات كطبري دون أن يشير إلى مصطلح المجاز، مثلاً أورد في تفسير هذه الآية: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة/٩٣) قائلاً: لتفسير هذه الآية وجوه متعددة: أولها: ما أورده قتادة و أبوالعالية قائلين: ((و أشربوا في قلوبهم حبَّ العجل بكفرهم)) كما يقال: ((أشرب قلبه حبَّ كذا و كذا))، ثمَّ يستشهدُ ببيت شعر:

فصحوت عنها بعد حبّ داخل ... والحبُّ يشربه فؤادك داء

ثمَّ يستشهد ببيت آخر.

المرة الثانية يشير إلى قصة عبادة اليهود للعجل و توبيخ موسى عليه السلام اليهود، ثمَّ بعد ذلك يأتي بشاهدٍ آخر، حيثُ يقول: ((و اسأل القرية)) و القصد هنا بالقرية أهل القرية، و في النهاية يأتي بنماذج أخرى من الشعراء و هكذا يبين الآراء المختلفة و النماذج الشعرية في بيان هذا الأمر. (الطوسي، بلاتا: ٣٥٤/١)

٤-٦- شرح المصاديق

تفسير جامع البيان:

المصداق هو الوجود الخارجي للمعني و ينطبق عليه المفهوم أو المعنى، وفي الحقيقة المصداق هو الشيء الخارجي، قد يدرس المفسرون مصاديق المفردات أحياناً. فقد أورد الطبري في تفسير بعض الآيات مصاديقها؛ مثلاً تحت مفردة ((البعد)) في هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ

بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/٣٦) يقول: ((قد اختلف القراء في قراءة كلمة العبد؛ و قرأه البعض مفرداً وآخرون جمعاً على شكل ((العباد))، وان كان جمعاً فالمقصود محمد ﷺ والأنبياء السابقون، ثمّ يورد في تفسيره بانّ الصواب من القول رأيه أنّ كلا الرأيين صحيحان. (الطبري، ١٤٢٠ق: ٢١٠/٢٠)

و قد أورد الشيخ الطوسي حول كلمة ((العبد)) في الآية نفسها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/٣٦)، ما أورد الطبري قائلاً: ((إنّ حمزة، الكسائي و خلف قد قرؤوا هذه الأية على شكل جمع؛ أي ((العباد))، والآخرون من القراء قرؤوها مفرداً، فإن كانت على شكل مفرد فالقصد منها الرسول ﷺ، وإن كان المقصود جمعاً فجميع الأنبياء عليهم السلام، وهذا يدل على أنّ كلّ أمة كانت تخاطب نبيها بهذا الخطاب.(الطوسي، بلاتا:٢٧/٩)

٤-٧- شرح مبهمات القرآن

القصد من المبهمات تلك المفردات التي تشير إلى شخص غير محدد؛ مثلاً يورد الطبري في الأية: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة/١٩٩)، قائلاً:((القصد بـ((الناس)) في هذه الآية إبراهيم عليه السلام، و هكذا يشرح الإبهام الموجود في الآية.(الطبري،١٤٢٠ق:٤٠٢/٢)

كذلك الشيخ الطوسي يورد في كالطبري شروح لمفردات فيها ابهام من خلال تفسير الآية؛ مثلاً في تفسير الآية ١٩٩ من سورة البقرة في شرح مفردة النّاس يورد آراء مختلفة حول هذه المفردة ثمّ يبين القصد منها. (الطوسي، بلاتا:١٦٨/٢)

٤-٨- تقارب المعنى في المفردات

تفسير جامع البيان:

قد يورد الطبري في تفسيره معانٍ لمفردات اختلف فيه المفسرون؛ حيث يذكر آراءهم ثمّ يحاول من خلال ذكر أدلته يقارب بين المعاني المذكورة.

مثلاً حول مفردة ((أخبتوا)) في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ (هود/٢٣)، يقول: ((قد اختلف العلماء حول هذه المفردة؛ فقال: القصد: ((أنابوا إلى ربهم)) وقال آخر أي ((خشعوا إلى ربهم))، ثمّ يشرح الطبري بأنّ هذه الأقوال متقاربة

المعنى لأنَّ الرجوع والأنابه إلى الله تكون بسبب الخوف والخشوع والخضوع، وكلٌ هذا يأتي عن طريق الطاعة. وكلمة ((إخبات)) عند العرب تأتي بمعنى الخشوع والخضوع)). (الطبري، ١٤٢٠ق: ٣٣/١١)

تفسير التبيان:

قد أورد الطوسي ذيل تفسير ٢٣ لسورة هود حول مفردة ((إخبات)) آراء المفسرين قائلاً: إنّ ((اختبوا إلى ربهم أي أخشعوا إلى ربهم)). ويستمر قائلاً: بانّ الإخبات الخشوع المستمر فيه ديمومة وأصله من ((إستواء من الخبت)) التي هي بمعنى ((الأرض المستوية الشاسعة))، ثمّ يورد آراء مختلفة حول هذه الكلمة قائلاً: ((الإخبات بمعنى الإنابة و هذا رأي ابن عباس، ثم يأتي برأي مجاهد حيث يقول: ((إن الإخبات حصول السكينة بذكر الله))، ثم رأي قتادة القائل: ((هي الخشوع والخضوع لله و إلى الله))، ثم رأي الحسن أنّه الخشوع بسبب الخوف في القلب))، و هكذا يستمر في ذكر آراء العلماء دون أنْ يقرب في المعاني كالطبري. (الطوسي، بلاتا: ٤٦٧/٥)

٤-٩- المفردات غيرالعربية (الدخيل) في القرآن

من أهم المباحث في الدراسات القرآنية مبحث المعربات. قد أثار هذا المبحث (الدخيل) كما أورد السيوطي جدلاً بين العلماء و اللغويين، حيث يرى البعض، كالشافعي و الطبري وأبوعبيدة والباقلاني وابن فارس، أنّ لا عجمة (دخيل) في القرآن، مستدلين بهذه الآية: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (فصلت/٤٤). ويرى البعض، كأبي الميسرة والجواليقي والسيوطي نفسه، أنَّ في القرآن توجد مفردات غيرعربية وقد أشار السيوطي هذا الأمر في كتابه ((المهذّب في ما وقع في القرآن من المعرّب)). (السيوطي، ١٣٦٣ش: ١٢٥/٢)

لذا نجد الطبري يرفض وجود المعرب في القرآن قائلاً: ((إنّ القرآن كله عربي ووجود بعض المفردات المشتركة في اكثر من لغة قد يكون على طريق الصدقة.)) (الطبري، ١٤٢٠ق: ٢٦/١).

ولكن الطوسي يقرُّ بوجود المعرّب في القرآن الكريم، و قد شرح هذا الأمر عندما شرح الكلمات التالية: ((القسطاس))، ((السجيل)) و ((الفردوس))، ((ولكن المعروف هو لم

يذكر آراء المخالفين و الموافقين حول المعرّبات، و كأنّه لم يحبّب أن يخلط بين كلام الرب و الأجانب، و إن كانوا ايرانيين.)) (آذرنوش، ١٣٥٠ش: ٢٤٠/٣)

٤- ١٠- مصادر اسنادات الطبري والطوسي

تفسير جامع البيان:

عند مراجعتنا لإسنادات الطبري نجد أنه اكثر ما كان يستند إليه في شرح المفردات القرآنية هو الشعر العربي ثمّ القراءات و بعدها إلى الآيات و الأحاديث.

- نموذج من استناده بالشعر والقراءات:

أورد الطبري في شرح هذه الآية: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ (البقرة/٣٥)، قائلاً: ((إنّ الرغد هي الحياة الرفه الطيبة التي تتهيأ لها أسباب الرفاهية من نفسها؛ مستشهداً بهذا البيت من إمريء القيس:

بينما المرؤ تراهُ ناعماً ... يأمن الأحداث في عيش رغد

(الطبري، ١٤٢٠ق: ٣٢٩/١)

يورد الطبري أيضاً في تفسير هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ ((الأنعام/١٦١))، قائلاً: ((قد اختلف القراء في مفردة ((القيم))؛ جمهور قراء المدينة وبعض البصريين قرؤوا قيماً بفتح القاف والياء المشددة، بينما قراءه جمهور قراء الكوفة بكسر القاف وفتح الياء، وتخفيف الياء، والاختلاف في القراءة وليس في المعنى، لأن كلا المفردتين تعني الدين المستقيم، ثمّ يبدي الطبري برأيه قائلاً بأنّ كلتا القراءتين صحيحتين ولكن الأفضل هو بفتح القاف والتشديد الياء.)) (الطبري،١٤٢٠ق: ١٤٦/١)

وأورد الطبري أيضاً في شرح مفردة ((وبال)) في هذه الآية: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ (مائده/٩٥). قائلاً إن اصل الوبال الشدة في المكروه ثم يستشهد بهذه الآية: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ (الطبري،١٤٢٠ق: ٧٧/٧)

تفسير التبيان:

يستشهد الطوسي كالطبري في تفاسير الآيات عدة بالشعر لإثبات رأيه والتأكيد عليه،

الا أنّه استشهد بالشعر مكرهاً، وبين هذا الأمر في قوله: ((لولا عداوة ملحدين لإثبات شرح بعض آيات القرآن لما استشهدت بالشعر، لأنّه لايقلُّ دون شك كلام الرسول ﷺ أقلّ من هؤلاء الشعراء و أهل البادية.)) (الطوسي، بلاتا: ١٦/١)، و لهذا السبب نري ان استناد الطوسي بالآيات و الأحاديث اكثر من تفسير جامع البيان، مثلاً تحت شرح مفردة ((الضرار)) في الآية ٢٣١ من سورة البقرة يستشهد بهذا الحديث: ((لاضرر و لاضرار في الإسلام))، أضف إلى ذلك أنّ الطوسي كان يستشهد بأمثال العرب في شرح المفردات؛ مثلاً في تفسير هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (آل عمران/ ٤) يورد قائلاً: ((اصل الإعزاز بمعنى ((الإمتناع)) و يطلق على الأرض الصعبة التي يصعب فيها الإقامة فتسمي ((أرضاً عزازاً))، ثمّ يأتي بمثل آخر ((مَنْ عَزَّ بزَّ)) أي ((مَنْ غَلَبَ سلب))، لأنّ الغالب يمتنع من الضيم، و ذلك لأنَّ الغالب هو المقتدر و يسلب كل شيء دون أن يظلم و لهذا يقال: ((إن الله هو العزيز))، لأنّ لا أحد يستطيع إذلاله)) (الطوسي،بلاتا: ٣٢١/٢)

وأورد في شرح هذه الآية: ((**على الأعراف رجال**)) (الاعراف/٤٦) قائلاً: ((إن الأعراف بمعنى المكان المرتفع المأخوذ بين عرف الفرس أو عرف الديك. ثم يضيف قائلاً: يسمي المكان المرتفع عرفاً لأنّه اكثر ظهوراً من الاراضي المنخفضة، ثم يستشهد بشعر الشماخ:

وظلت بأعراف ثُغالي كأنها ... رماحُ نحاها وجهة الرمح ذاكر

وقال آخر:

كلُّ كنّازٍ لحمه نياف ... كالعلم الموفي على الأعراف

(الطوسي، بلاتا: ٤١١/٤)

النتائج:

يتوضح مما قمنا به من بحث في هذين التفسيرين أنّ كلا التفسيرين يحتويان على أنواع العلوم والفنون التي يحتاجها علم التفسير كالصرف والنحو، الإشتقاق، علم المعاني والبيان، الفقه والكلام، والتاريخ. وبما أنّ معرفة معاني المفردات القرآنية هي الأساس لتفسير القرآن فكلا المفسرين كانا على معرفة عالية من علم اللغة، حيث خصصا مكانة خاصة في تفسيرهما للبحوث اللغوية.

- قد استشهد في ال عند شرح المفردات بالشعر الجاهلي والإسلامي بكثرة.
- قد فاق تفسير البيان الإستشهاد بالآيات و الأحاديث مقارنة بتفسير جامع البيان بفارق كبير.
- العناية بالإشتقاق اكثر وضوحاً بالنسبة لتفسير جامع البيان.
- قد أورد كلا المفسرين آراء العلماء السابقين لهما عند تفسير الآيات اضافة إلى أنهما أوردا رأيهما و ذكرا الرأي الراجح لهما في شرح المفردات.
- أورد الشيخ الطوسي قياساً بالطبري بحوثه اللغوية كالقراءات والإعراب والتفسير أكثر ترتيباً وأدق شكلاً وأوضح منهجاً.
- بما أنّ تفسير الطبري قد كتب في القرن الثالث و لُقب بـ((أم لتفاسير))، وكتب الشيخ الطوسي تفسيره في القرن الخامس، نستطيع القول بأنّ الشيخ الطوسي قد تأثر في أمور كثيرة شكلاً ومنهجاً بالطبري.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن كريم

- آذرنوش، آذرتاش.(١٣٥٠ش). واژههاي پارسي قرآن و تفسير شيخ طوسي. يادنامه شيخ الطائفة أبو جعفر محمد حسن طوسي.٣جلد. مشهد: دانشگاه مشهد. ٢٥١- ٢٣٢
- آل ياسين، محمد حسن. (١٣٤٩ش). روش طوسي در تفسير قرآن. هزاره شيخ طوسي. تهران. ٣١٢- ٢٩٧
- اكبر آبادي، سعيد احمد. (١٣٥٠ش). الشيخ الطوسي و منهجه في تفسير القرآن. يادنامه شيخ الطائفة أبو جعفر محمد حسن طوسي. مشهد: دانشگاه مشهد. ٣٧٨- ٣٧١
- ابن جني، عثمان. (١٣٧٤ق). الخصائص. به كوشش محمد على نجار. قاهره.
- _____. (١٩٧٧م). الصاحبي. به كوشش احمد صقر. قاهره.
- ابن فارس، احمد. (١٣٦٨ق). معجم مقاييس اللغة. به كوشش محمد محيي الدين عبدالحميد. قاهرة.
- ابن قتيبه، أبو محمد عبدالله بن مسلم. (١٤٢١ق). تفسير غريب القرآن. شرح ابراهيم محمد. بيروت: دار المكتبة.

- بابايي، على اكبر (١٣٨٧ش). تاريخ تفسير قرآن. قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه. ط١.
- تهانوي، محمد على. (١٨٦٢م). كشاف اصطلاحات الفنون. به كوشش محمد وجيه و ديگران. كلكته.
- جرجس، رمسيس. النحت في العربية. مجلة اللغة العربية. قاهره.
- خضير، جعفر. (١٣٧٨ش).الشيخ الطوسي مفسّراً. قم.
- خطيب بغدادي، أبو بكر احمد بن على (بي‌تا)، تاريخ بغداد. بي‌جا: دار الفكر.
- خويي، أبو القاسم. (١٤٠٨ق/١٩٨٧م)، البيان في تفسير القرآن. بيروت.
- سيوطي، جلال الدين. (١٣٦٣ش)، الاتقان في علوم القرآن. تحقيق أبو الفضل ابراهيم. قم: نشر رضي.
- كيا، صادق. (١٣٤٠ش)، قلب در زبان عربي. تهران.
- فتح اللهي، إبراهيم - ذالفقاري، شهروز(١٣٨٥)، تاريخ تفسير قرآن كريم، تهران: نگاهي ديگر.
- صدر، حسن. (بي‌تا). تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام. تهران.
- طبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٠ق). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر.
- طوسي، محمد بن حسن. (١٣٥١ش). الفهرست. مشهد.
- ـــــــــ. (بلا تا). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار احياء التراث العربي.
- معرفت، محمد هادي. (١٣٨٥ش). تفسير و مفسران. ٢ جلد. قم: انتشارات ذوي القربي. ط٢.
- وافي، على عبدالواحد. (١٣٨٨ق). فقه اللغة. قاهره.

المقالات:

- شاكري، سيمين دخت. ((مباني تفسيرنگاري طبري))، مقالات و بررسيها، دفتر ٧٦ (١)، علوم قرآن، پاييز و زمستان ١٣٨٣، صص٨١- ١٠٢.